الفصل الأول

مدينة يثرب قبل الإسلام «موطن الأنصار»

القسم الأول: مدينة يثرب

١ـ الموقع الجغرافي والحرات، الينابيع والمياه والمناخ.

٢ـ أقسام المدينة: تاريخها ومناقبها.

٣ـ سرد تاريخي للحياة في يثرب ـ السكان القدماء.

القسم الثاني: ١ـ اليهود.. قدومهم إلى يثرب.

٢ـ مواطنهم وصلاتهم بالعرب.

٣ـ أحوال اليهود الاجتماعية والأدبية.

٤ـ قبائل اليهود.

٥ـ اليهود والعرب.

٦ـ مواقع اليهود في الحجاز عدا يثرب.

٧ـ الحياة السياسية والدينية والفكرية عند يهود.

القسم الثالث: العرب.

١ـ تعريف.. ومصادر التاريخ العربي.

٢ـ العرب على مدار التاريخ وأقسام التاريخ العربي.

٣ـ القبائل البدوية العربية.

٤ـ الحياة السياسية للقبائل العربية.

obeikandl.com

obeikandl.com

القسم الأول

مدينة يثرب

معنى يثرب في «لسان العرب» مادة «ثَرَبَ».

الثَّربُ: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء وجمعه «ثُرُوبْ».

والثرب: الشحم المبسوط على الأمعاء والمصارين.

شاة ثرباء: عظيمة الثرب، وأنشد شعراً: وأنتُم بشَحْمِ الكُلْيَتَين مع «الثَّرب».

وفي الحديث: (نهى عن الصلاة إذا صارت الشمس كا «الأَثارِبِ») أي إذا تفرقت وخصت موضعاً دون موضع عند المغيب.

وفي الحديث: «إن المنافق يؤخر العصر حتى إذا صارت الشمس «كثرب» البقرة صلاها».

التَّثْريبُ: التَّأنِيبُ، والتَّعْيِيرُ، والاسْتِقْصَاءُ في اللوم.

الثَّارِبُ: المويخ. يقال: ثرب وثرّب وأثرب: إذا وبّخ.

قال نصيب:

إنـي لأَكْـرَهُ ما كَرِهْـتَ مِنَ الَّـذي يُؤْذِيكَ سُوء ثَنـائِـه لم يَثْـرِبِ

قال: «المُثْرَبّ» قليل العطاء ـ وهو الذي يمن بما أعطى.

ثَرَبَ عليه: لامه وعيّره بذنبه، وذكره به.

قال تعالى: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَومَ﴾[1].

---

(١) سورة يوسف آية (٩٢).

قال الزجاج: معناه لا إفساد عليكم.

وقال ثعلب: معناه لا تذكر ذنوبكم.

قال الجوهري: وهو من التّرب، كالشغف من الشغاف.

والمثرب: المعيّر، وقيل المخلط المفسد.

والتَّثْرِيبُ: الإفساد والتخليط.

ويصل بعد ذلك صاحب اللسان إلى القول:

ويثـرب: مدينة سيدنا رسول الله ﷺ، والنسب إليها: يَثْرَبِيّ ويَثْرِبِيّ وأَثْرِبِيّ، وأَثْرِبِي ففتحوا الراء استثقالاً لتوالي الكسرات.

وروى عن النبي ﷺ: أنه نهى أن يقال للمدينة يثرب وسماها «طيبة».

كأنه كره كلمة «الثَّرْبُ» لأنه فسادٌ في كلام العرب.

قال ابن الأثير: يثـرب اسم مدينـة النبي ﷺ قديمة، فغيرها وسمّاها «طيبـة» و«طَابَه» كراهية التثريب وهو اللوم والتعيير.

وقيل: هو اسم أرضها.

وقيل: سميت باسم رجل من العمالقة.

ونصل يَثْرِبي، وأَثْرِبي: منسوب إلى يثرب.

وقوله: ما هو إلاّ اليَثْرِبِيُّ المقطع.

زعم بعض الرواة أن المراد با ليثربي السهم لا النصل وأن يثرب لا يعمل فيها النصال.

قال أبو حنيفة: وليس كذلك لأن النصال تعمل بيثرب وبوادي القرى وبالرقم ويغيرهن من أرض الحجاز.

والثِّربُ: أرض حجارتها كحجارة الحرة إلاّ أنها بِيضٌ.

وأَثَارِبُ: موضع[1].

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ١/٣٥٢.

وفي مختار الصحاح ثَ رَ بَ (الثَّرْبُ) شحم قد غشى الكرش والأمعاء.

والثرب: التعيير والاستقصاء في اللوم.

ويثرب: مدينة الرسول ﷺ[1].

وفي معجم البلدان يَثْرِب: بفتح أوله وسكون ثانية، وكسر الراء، وباء موحدة.

وقال أبو القاسم الزجاجي: يثرب مدينة الرسول ﷺ سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق (يَثْرِبُ بن قَانية بن مهلائيل بن ارم بن عبيل بن عوض بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام). فلما نزلها رسول الله ﷺ سمّاها طيبة وطابة كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول لنزوله فيها[2].

قال: ولو تكلف متكلف أن يقول في يثرب أنه يفعل من قوله تعالى: ﴿**لا تثريب عليكم اليوم**﴾. قال المفسرون وأهل اللغة معناه لا تعيير عليكم بما صنعتم.

ويقال: أصل التثريب، الإفساد.

ويقال: ثرب علينا فلان.

وفي الحديث: «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها، ولا يثرب» أي لا يعيّر بالزنا.

ثم اختلفوا فقيل: إن يثرب للناحية التي منها مدينة الرسول ﷺ. وقال آخرون: بل يثرب ناحية من مدينة النبي ﷺ ولما حملت (نائلة بنت الفرافصة) إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه قالت تخاطب أخاها:

أَحَقاً تَراهُ اليومَ يا خَبُّ أَنَّني ... مُصَاحِبَة نَحو المدينة أَرْكَبا

لَقَدْ كانَ في فِتيان حِصْن بن خَضْم ... لَكَ الويلُ ما يَجْرى الحباءُ المُحَجَّبَا

قَضَىٰ الله أن تَمُوتي غَرِيبَةً ... بِيَثْرِبَ لا تَلْقَين أُمّاً ولا أَبا

قال ابن عباس رضي الله عنه: من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثاً، إنما هي طيبة.

---

(١) مختار الصحاح ـ الرازي ص٨٣ وتهذيب الصحاح ـ الزنجاني مادة (ثرب) ١/ ٤١.

(٢) جواد علي ٤/ ١٢٨. شعر الحرب ـ الخطراوي ١٩.

وقال النبي ﷺ لما هاجر: «اللهم إنك أخرجتني من أحب أرضك إلي فأسكني أحب أرضك إليك، فأسكنه المدينة، وأما حديثها وعمارتها فقد ذكرته في المدينة وقد نسبوا إليها السهام فقال «كثيّر»:

وماءٍ كأن اليَثْرِبِيَّة انّصَلت بأَعْقَارَه دَفْعُ الإزَارِ نُزُوع[1]

وكانت يثرب موضعاً معروفاً منذ زمن بعيد، منذ أيام المعنيين، ومع أن تاريخها الأول غامض أيضاً فإن الأخبار التي وصلت إلينا من تاريخها أقدم من تلك التي وصلت إلينا من تاريخ مكة.

أسماء المواضيع المشتقة من الجذر «ثَرَبَ» و قَريبه «تِرْبُ» ليست قليلة، ولعل الموضوع الذي يأخذ اسمه من ثرب (بالثاء) المنقوطة بثلاث نقط فقط أقدم عهداً من الموضع الذي يأخذ اسمه من ترب في القاموس المحيط ١/ ٤٠.

ترب: كثر ترابه، مما يدل على أن الموضع المسمى بصيغة من هذا الجذر كثير التربة خصب وتربة واد، وتربية، وترابه: موضعان في اليمن. وتربان: واد بين الحفير والمدينة. وثربان (بالثاء) حصن في اليمن. وأثارب (بالثاء) أيضاً: قرية بحلب. ويثرب، وأثرب (بالثاء): مدينة النبي ﷺ (موضع بحثنا هنا). أما يترب (بنقطتين فوقها فقط) فموضع قرب اليمامة القاموس ١/ ٣٩-٤٠ ويبدو أن اسم «المدينة» علما على يثرب كان قديماً، ولكن الاسم «يثرب» أقدم، ولعله الاسم «أترب» أكثر قدماً[2].

ويثرب: مدينة قديمة ورد ذكرها في الكتابات المعينية، وكانت من المواضع التي أقامت فيها جاليات من معين، ثم آل أمرها إلى السبئيين بعد أن دالت دولة

(١) معجم البلدان ـ الحموي ص٤٣٠.

(٢) تاريخ الجاهلية ـ فروخ ص ١١٥-١١٦.

المعينيين. ومن المعروف أن معين وسبأ كانتا تفرضان نفوذهما في بلاد العرب الشمالية.

كذلك جاء ذكر يثرب في جغرافية بطليموس البيزنطي باسم IATHRIPPE ومرة باسم IOTHRIPPE . وذكر (اصطيفانوس) البيزنطي باسم IATHRIPPA POLIS وعرفت عند الإخباريين باسم «أثرب» ويثرب.

وذكر أن يثرب هي أم قرى المدينة، وحددوا امتدادها ما بين طرف (قناة) إلى طرف (الجرف). وما بين المال الذي يقال له (البرناوي) إلى (زبالة).

ويزعم بعض الإخباريين أنها سميت يثرب نسبة إلى (يثرب بن قانية بن مهلائيل. . .) وهو أول مَنْ نزلها من بعد تفرق ذرية نوح.

وزعم آخرون أن اسم يثرب مأخوذ من الثرب بمعنى الفساد أو (التثريب) أي المؤاخذة بالذنب.

وذكروا أنّ النبي ﷺ، نهى عن تسمية يثرب بيثرب وسمّاها طيبة وطابا كراهية للتثريب.

وذكر البلاذري أن يثرب سيمت باسم رئيس للعماليق الذين نزلوها بعد أن أخرجوا منها بني عبيل بن عوض بن سام من ولد نوح[1].

وقد ورد اسم يثرب في القرآن الكريم عند تعرضه لما يقوله المنافقون.
قال تعالى: ﴿**وإِذْ يَقُولُ ٱلمُنافِقُونَ وٱلَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرضٌ مَا وَعدنَا ٱللهُ وَرسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً. وَإِذْ قالَتْ طآئِفةٌ مِنهُمْ يآ أهلَ يَثْرِبَ لاَ مُقامَ لَكُمُ فَٱرجِعُوا**

---

(١) أنساب الأشراف ـ البلاذري ص د، مروج الذهب ـ المسعودي ١/٤٢.

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ ٱلنَّبِيَّ يقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عوْرَةٌ وما هِيَ بِعَوْرةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً﴾[1]

ويشير المسعودي إلى أن ما وقع في القرآن الكريم من تسميتها بهذا الاسم إنما هو حكاية من قول المنافقين[2] ويذكر بعض أهل الأخبار أن أقدم مَنْ سكن (يثرب) في سالف الزمان قوم يُقال لهم (صُعل) و(فالج) فغزاهم النبي داوود عليه السلام وأخذ منهم أسرى، وهلك أكثرهم وقبورهم في ناحية الجرف.

وسكنها العماليق، فأرسل عليهم النبي موسى جيشاً انتصر عليهم وعلى مَنْ كان ساكناً منهم بـ (تيماء) فقتلوهم. وكان ذلك في عهد ملكهم (الأرقم بن أبي الأرقم) ولم يترك الإسرائيليون منهم أحداً وسكن اليهود في مواضعهم[3].

ونزل عليهم بعض قبائل العرب، فكانوا معهم واتخذوا الأموال والآطام والمنازل، ومن هؤلاء (بنو أنيف) تصغير (أنف) وهم حي من (بلى).

ويقال: إنهم بقية من العماليق.

---

(١) سورة الأحزاب آية (١٢-١٣).

(٢) تاريخ العرب ـ سيد عبدالعزيز ٣٣٢-٣٣٣.

(٣) يلاحظ كثير من المغالطة في هذه الرواية من «الإسرائيليات»، وذلك لإثبات بعض الحق لليهود في المدينة، خاصة أنهم أخرجوا منها وقتلوا. فسيدنا موسى عليه السلام لم يتمكن من ضبط بني إسرائيل ليقاتلوا عدوهم ويدخلوا أرضهم التي وعدوا بها فقالوا لموسى: ﴿فاذهَب أنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنا قَاعِدُونَ﴾ [سورة المائدة: ٢٤].

فكيف يتسنى لموسى عليه السلام أن يرسل جيشاً كبيراً من صحراء التيه إلى يثرب ليقاتل ملكها الأرقم بن أبي الأرقم، مع توافق اسم الملك مع الرجل الصحابي الذي فتح داره للدعوة الإسلامية في بداية عهد الإسلام. ومن المؤكد تاريخياً أن اليهود جاؤوا إلى يثرب بعد النكبات التي لحقت بهم على يد الآشوريين والبابليين ومن بعدهم الرومان «شعراء الحرب ـ الخطراوي» ٣٥ فما بعد.

(وبنو مريد) مزيد (مرثد)، حي من «بلى»، وبنو معاوية بن الحارث بن بُهْثه بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان.

وبنو الجدمي (الجدماء) هي من اليمن. فعاشوا مع مَنْ كان بيثرب وأطرافها من اليهود، واتخذوا المنازل والآطام يتحصنون فيها من عدوهم إلى قدوم الأوس والخزرج إياها[1].

الاسم القديم لمدينة الرسول إنما هو يثرب، وقد اختلفوا فيما إذا كان اسماً للمدينة نفسها أم لموضع مخصوص من أرضها، أو أنها اسم للناحية التي منها مدينة الرسول. أما اسم المدينة الذي أُطلق على يثرب بعد الهجرة النبوية فقد يكون مأخوذاً من لفظة (مدينتا) MEDINTA الآرامية، ومعناها الحمى أو المدينة، وقد يكون اختصاراً من (مدينة الرسول). وأعتقد أنه في كلتا الحالتين أطلق عليها بعد الهجرة ولم يكن يطلق عليها قبل ذلك، وإن كان بعض المستشرقين يرى أن اليهود والمتأثرين بالثقافة الآرامية، أو بعض المتهودة من بني ارم الذين نزلوا بيثرب ودعوها «مدينتا» ومن هذه اللفظة جاءت لفظة المدينة، أي أن لفظة المدينة كانت تطلق قبل ظهور الإسلام على يثرب[2].

وأقدم مورد أشير فيه إلى «يثرب» هو نص الملك «بنونيد» ملك بابل الذي سكن (تيماء) أمدا، وذكر فيه أنه بلغ هذه المدينة وقد عرفت (بيثربة) (JATHRIPA) في جغرافية بطليموس، وعند اصطيفان البيزنطي عرفت بالمدينة كذلك وكلمة MEDINTA و MEDINTO الإرمية التي تعني (مدنية) في (عربتنا) و(هكر) في العربية الجنوبية.

وقد ورد اسمها في الكتابات المعينية، ويظهر أنها عرفت (بمدينة يثرب) على نحو ما وجدنا في كتاب (إصطيفان البيزنطي) ثم اختصرت فقيل لها (مدنيتا): أي المدينة ولما نزل الرسول بها عرفت (بمدينة الرسول) في الإسلام.

---

(١) جواد علي ٤/ ١٢٩.

(٢) تاريخ العرب ـ السيد عبدالعزيز ٣٣٢.

ولقدم تايخ (يثرب) ولورود اسمها في نص (بنونيد) الذي يدل على أنها كانت معروفة آنذاك، لا يستبعد احتمال عثور المنقبين في المستقبل على كتابات وآثار قد تكشف عن بعض تاريخ هذه المدينة في أيام ما قبل الإسلام.

وعثر في مواضع لا تبعد كثيراً عن (يثرب) على كتابات جاهلية لم تعرف هويتها الآن لأن البـاحثين لم يتمكنـوا من فحص مواضعهـا، ومن نقلهـا إلى العلمـاء المختصين لقـراءتها؟ كما أنهم لم يتمكنوا من تصويرها. ولا من التنقيب في تلك الأماكن تنقيباً علمياً.

وقد أشار عثمان رستم إلى وجود كتابات من هذا النوع على جبل (سلع) وعند موضع بئر عروة بوادي العقيق.

وفي أماكن أخرى أرجو أن يصل إليها الباحثون للتنقيب فيها ولحل رموز هذه الكتابات وقد يعثر على كتابات أخرى مطمورة في تربة (يثرب)، وفي الأماكن القريبة منها تقدم للقادمين من بعدنا أسرار هذه المدينة المقدسة[1].

وإطلاق اسم يثرب على المدينة فيه خلاف بين المؤرخين فبينما يراه ابن عباس رضي الله عنه اسماً للمدينة نفسها نجد أن أبا عبيدة يؤكد أنه اسم للناحية التي منها مدينة الرسول ﷺ، أي أن لفظ يثرب أعم من لفظ المدينة.

ويذكر العلاّمة السمهودي[2] أن محمد بن الحسن بن زبالة يقطع بأن يثرب أو أثرب اسم لموضع مخصوص من أرض المدينة لأنه كان ينشر فوق أرض المدينة عديد من القرى العامرة المأهولة، غير أن يثرب هي أم قراها جميعاً.

وسميت المدينة المنورة مدينة من قولهم مدن بالمكان إذا أقام، أو من دان إذا

---

(١) جواد علي ٤/ ١٣٠-١٣١.

(٢) وفاء الوفا - السمهودي ١/ ٨-١٠، وأخبار المدينة (الدرة الثمينة) للحافظ بن محمود.

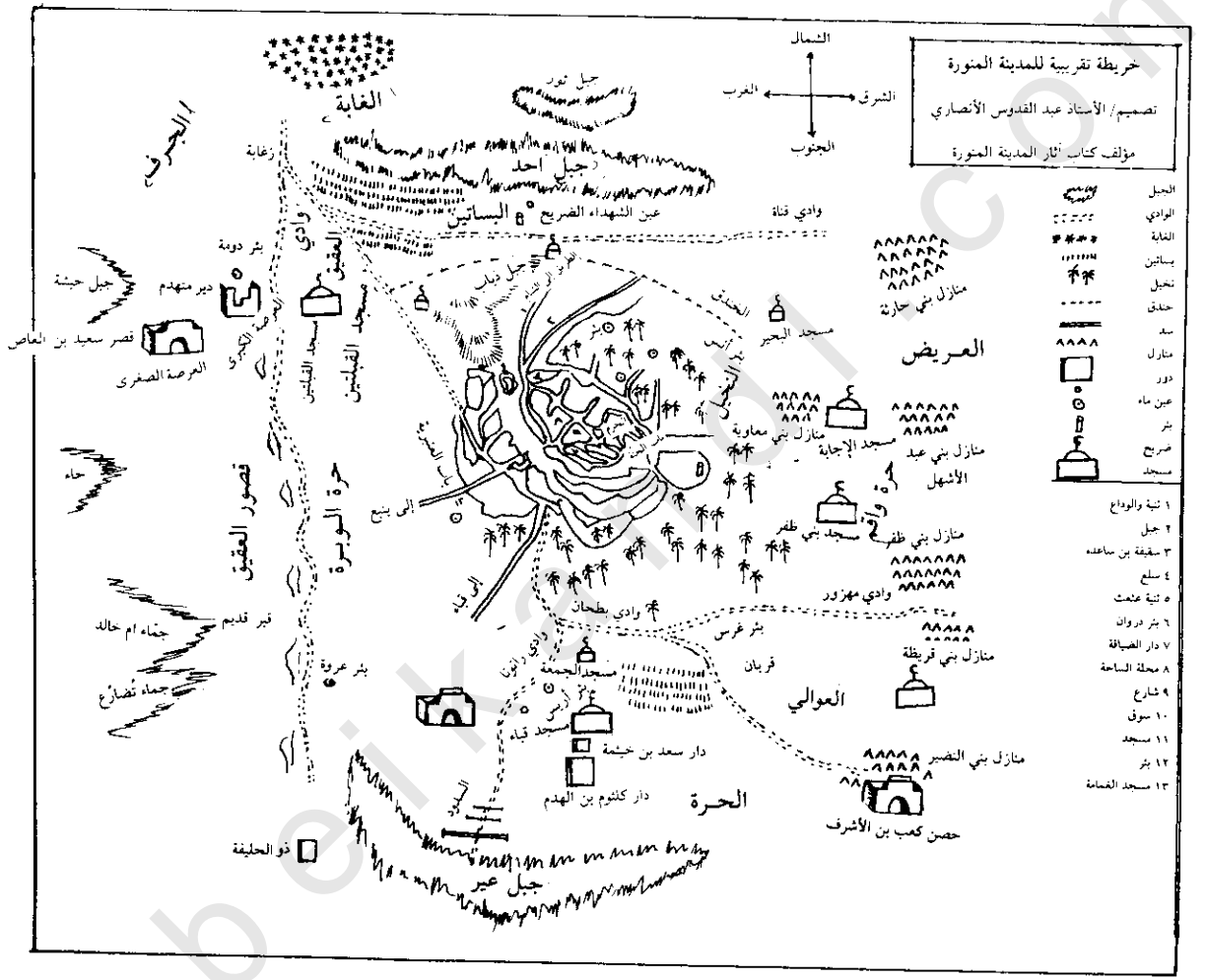

السيرة النبوية ـ أبو الحسن الحسني الندوي

obeikandl.com

أطـاع والميم على هذا التفسير زائدة، لأن السلطان يسكن المدن فتقدم له طاعة فيها أو لأن الله تعالى يطاع فيها. وهذه التسمية إسلامية، فالاسم الذي كانت معروفة به قبـل هجـرة الـرسول ﷺ إليها إنما هي يثرب، وهي مكان مخصوص منها كما سلف، وأُطلق عليها من باب إطلاق الجزء على الكل، وهو الاسم الذي تعوّد أن يطلقه عليها بعض المؤرخين والشعراء.

وكانت يثرب من أول عهودها بلداً زراعياً راسخاً في الحضارة، بخلاف مكة التي كانت البداوة تغلب عليها في حياتها السياسية، وحياتها الاجتماعية على الأقل لا في حياتها الاقتصادية[1]. ويثرب هذه التي هي جزء من المدينة يشير بعضهم إلى أنهـا واقعة في الجزء الشمالي من المدينة ابتداء من شمال جبل سلع إلى منتهى (زغابة) ومنطقة العيون، على أن البعض يحدها جنوباً بزبالة، وزبالة هي المنطقة التي تقـع فيهـا بئـر رومـه وبستان الأزهري، ويقع شرقيها المجرى القديم لوادي مهزوز، وعلى غربها مجرى وادي العقيق.

وحددها ابن النجار بأنها الجزء الواقع ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف، وما بين المال الذي يقال له البرناوي إلى زبالة.

أما المدينة نفسها فقد جعل لها الرسول ﷺ حرماً محدوداً جنوباً بجبل (عير) (مرادف للحمار) وبعضهم يسميه (عاير)، وهو جبل كبير مشهور بغرب ذي الحليفة ـ ميقات المدينة. . وشمالاً بجبل (ثور) (فحل البقر). وهو جبل صغير مدور شمالي أحد وهو إلى الحمرة أقرب على شمال المتجه إلى (العاقول) من الطريق المسفلت اليوم بين المدينة والمطار إذا ما وصل إلى المكان المعروف بمقعد بني مطير.

وقيل هذا القبيل الذي شقه الطريق المسفلت إلى المطار والمعروف الآن بمقعد

---

(١) تاريخ الجاهلية ـ فروخ ص١١٦.

بني مدير[1] ويتفق الأخباريون على أن يثرب سميت بمدينة الرسول لنزول رسول الله بها، ولنفوره من اسمها القديم سواء أكان بمعنى التثريب أو الإفساد، أو لأنه رئيس من العمالقة الذين نزلوا بها في العصور القديمة فيما يقرب سنة ٢٦٠٠ق.م على حد قول بعض الباحثين المحدثين.

مدينة يثرب:

ذكر الإخباريون أن ليثرب أو المدينة تسع وعشرون اسماً هي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكنة، والعذارء، والجابرة، والمحببة، والمحبورة، ويثرب، والناجية، والموفية، وأكالة البلدان، والمخفوفة، والمسلمة، والمخبة، والقدسية، والعاصمة، والمرزوقة، والشاميّة، والخيرة، والمحبوبة، والمرحومة، وجابرة، والمختارة، والمحرمة، والقاصمة، وطابا.

وأضاف إليهم بعضهم: البحرة، البارة، والبرة، وتنور، والحسيبة، ودار الأنصار، وحسنة، ودار الأخبار، ودار الإيمان، ودار السنة، ودار الهجرة، والمختارة، وغلبة، وقبلة الإسلام، والمحفوظة، ومدخل صدق، والمقدسة[2] وجعلها السمهودي أربع وتسعون اسماً[3].

أما ابن زبالة فيجعل أسماءها أحد عشر اسماً هي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكنية، وجابرة، والمجبورة، والمرحومة، والعذراء، والمحبة، والمحبوبة، وقاصمة وكل هذه الأسماء عرفت بها المدينة بعد الهجرة، أي في العصر الإسلامي باعتبارها دار الهجرة ومركز الدولة الإسلامية في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين.

---

(١) شعراء الحرب ـ الخطراوي من ٢٠ـ٢١. مرآة الحرمين ـ رفعت باشا ١/٤٤٧.

(٢) عمدة الأخبار ص١٤.

(٣) وفاء الوفا ـ السمهودي ١/ ٨ـ٢٧ أولها (أثرب) وآخرها (يندر) وهي ٩٤ إسماً.

نقلاً عن: التاريخ العربي ومصادره ـ أمين مدني

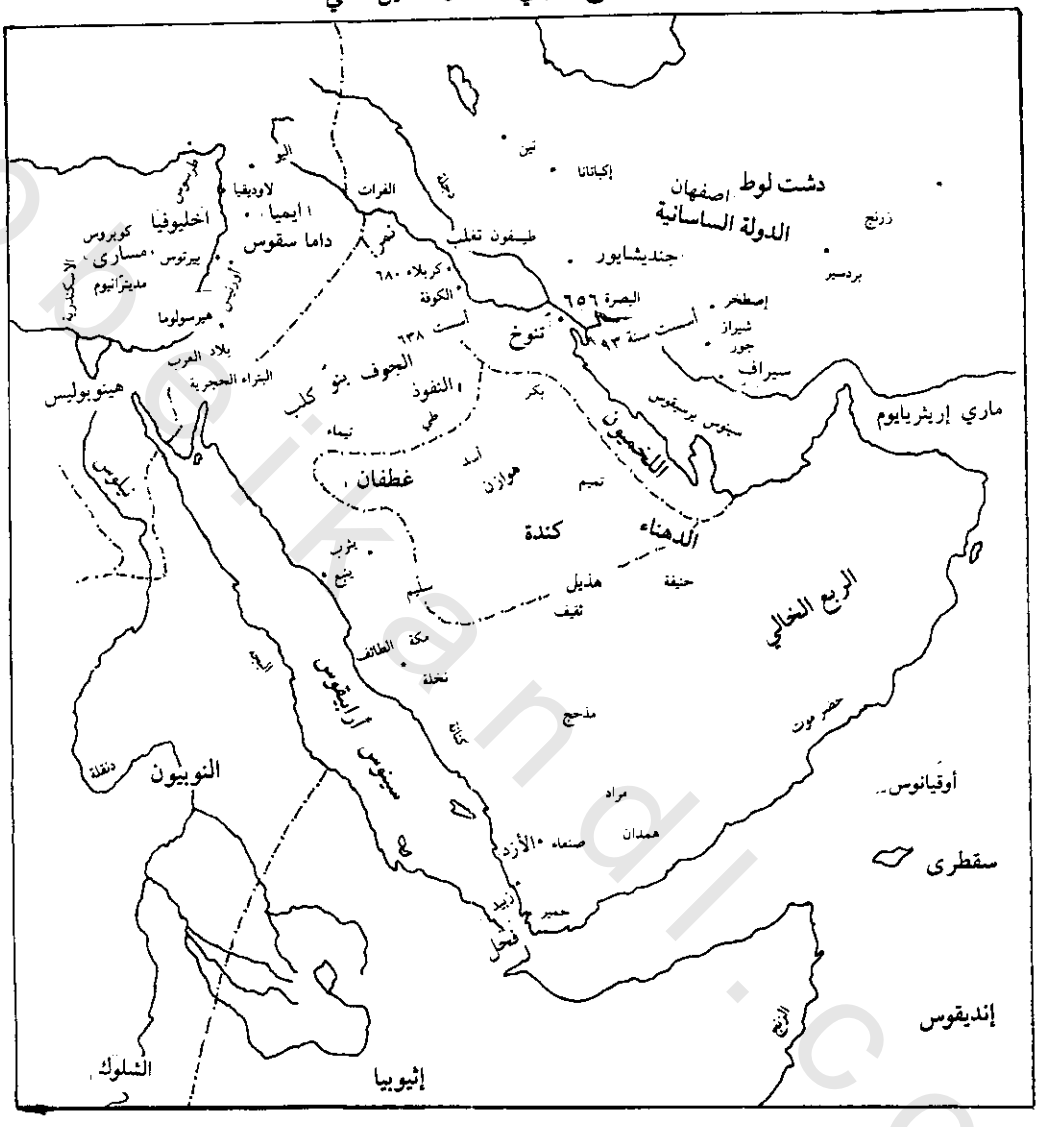

خريطة الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري (القرن السّابع الميلادي).

وهناك اسم عرفت به بحكم طبيعة موقعها الجغرافي بن حرتي (راقم) و(وبرة) فهي ذات الحرار، أو ذات الأحرين.

ومعظم أسمائها صفات وصفت بها لتغطيتها، وإظهار فضائلها وآثارها[1].

الموقع:

تقع مدينة يثرب على بعد نحو ٥٠٠ كيلو متراً إلى الشمال من مكة في بسيط من الأرض مكشوف من سائر الجهات في مرة سبخة من الأرض كثيرة المياه والشجر والدوحات وأقرب الجبال إليها هو جبل أحد، ويقع شمال يثرب. في حين يقع جبل عير الوارد في جنوبها الغربي. وجبل عير جبلان أحمران متقاربان ببطن العقيق، أحدهما عير الوارد، والآخر عير الصادر. وإلى الشرق من يثرب بقيع الغرقد، وإلى الجنوب قرية قباء التي تبعد عن يثرب بنحو ميلين مما يلي القبلة، وإلى الجنوب منها تقع قرية القرع على الطريق المؤدية إلى مكة.

ووادي العقيق من أخصب مناطق يثرب، ويبعد عنها من جهة الغرب بنحو ثلاثة أميال، وقيل بستة أميال، والعقيق مجموعة (أعقة)، أي أودية شقتها السيول. أحدها عقيق المدينة عق عن حرثها، وهذا العقيق الأصفر، ومنه بئر رومة.

وتقع بئر رومة إلى الشمال الغربي من يثرب على مسيرة ساعة منها بالقرب من مجمع الأسيال، في براح من الأرض، وكانت ملكا ليهودي في الجاهلية فاشتراها منه عثمان بن عفان بماله، وتصدق بها على المسلمين في عهد الرسول ﷺ[2].

---

(١) تاريخ العرب ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٣. تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجبلي ١٨٥ المدنية في العصر الجاهلي ـ الخطراوي ص٢٤.

(٢) تاريخ العرب ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٥. مرآة الحرمين ـ إبراهيم رفعت ص٤٠٧. تاريخ العرب في الجاهلية الجبيلي ١٨٦. دراسات في تاريخ العرب ـ بيومي ص٤٣٥. مختارات من صبح الأعشى ٥/ ٢٧٩. الروض الأنف ١/ ٣٥ حيث أن فكيهة كانت تَمُدُّ عند محاصرته المدينة الماء من بئر رومه.

وذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية (بئراً) ليهودي يبيع ماءها للمسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري (رومة) فيجعلها للمسلمين؟ يقترب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة».

فأتى عثمان بن عفان رضي الله عنه اليهودي فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى عثمان نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين، فقال له عثمان: إن شئت جعلت لنصيبي قربين، وإن شئت فلي يوم ولك يوم. فقال: بل لك يوم ولي يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى اليهودي ذلك قال: أفسدت علي ركيتي فاشتر النصف الآخر فاشتراه بثمانية آلاف درهم. وهـذه البئـر في أسفـل وادي العقيق قريبة من مجمع الأسيال في براح واسع من الأرض[1] ويحيط العقيق بيثرب أيضاً من جهة الجنوب الغربي، ولكنه بعيد عنها من هذه الجهة، فهو يقع بعد قباء إلى الشمال من وادي النقيع، وكانت تشغله غابات كثيفة، أما من جهة الغرب فكان يمتد إلى ما بعد ذي الحليفة عند آبار علي. وكان الرسول ﷺ قد أقطعه بلال بن الحارث المزني ثم أقطعه عمر رضي الله عنه الناس.

ومن وديان المـدينة أيضاً وادي بطحان، ويقع إلى الغرب من يثرب، ووادي رانون ويبدأ من جبل عير قبلي المدينة، ويمبر بقباء، ثم يختلط بوادي بطحان.

ومن أوديتها أيضاً (وادي مذينيب) في الجنوب الشرقي، وهو شعبة من بطحان ووادي قناة، ويقع إلى الشمال الشرقي من يثرب.

ووادي مهزور في الجنوب الشرقي ويأتي من الحرة الشرقية حرة واقم، وبالعتيق عرصتـان همـا عرصة البقل، وعرصة الماء، وثلاث جماءات هي جماء تضارع، وجماء أم خالد، وجماء العاقر.

والعرصة: أرض فضاء متسعة لا يقوم فيها بناء، أما الجماء فهضبة مسطحة لا

(١) مرآة الحرمين ـ إبراهيم رفعت ١ / ٤٣٠.

قمم لها والعرصتان من أكرم بقاع المدينة[1].

الحرات:

أما حرات يثرب فهي ثلاث:

حرة واقم في الشرق: وهي من أشهر حرات بلاد العرب، وتربتها من أخصب بقاع يثرب. وذكروا أن واقم اسم رجل من العماليق سميت به. وقيل أنه اسم أطم من آطام بني عبد الأشهل إليه تضاف الحرة، وكانت تسكن أرض هذه الحرة بطون من الأوس منها بنو عبد الأشهل، وبنو ظفير، وبنو معاوية، كما كانت تسكنها أيضاً قبائل من يهود بني قريظة والنضير، وبهذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد سنة ٦٣هـ[2]، وعرفت أيضاً بحرة قريظة لأنهم كانوا ينزلون بطونها القبلي، كما عرفت أيضاً بحرة زهرة لمجاورتها لها. وزهرة من أعظم قرى يثرب بين حرة واقم والسافلة.

حرة الوبرة في الغرب من يثرب، وعرفت بحرة بني بياضه، وكانت على بعد ثلاثة أميال من يثرب مشرفة على وادي العقيق الذي يليها غرباً.

ثم حرة قباء وتقع إلى الجنوب من يثرب.

إلى جانب هذه الحرات هناك ثلاث حرات أخرى بالقرب من يثرب هي حرة شوران وحرة النار بالقرب من حرة ليلى[3].

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٥. مكة قبل الإسلام ص٢٢. تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجبيلي ص١٨٤.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٦.

(٣) تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجبيلي ص١٨٥. تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٦.

بيوت يثرب:

يظهر من روايات أهل الأخبار عن البيوت أن في بيوت يثرب بيوت تكونت من طابقين أرضي وطابق علوي، وكانوا يسكنون الطابقين، ولعلهم كانوا يودعون مواشيهم ودوابهم الطابق الأرضي، أو مواضع ملحقة بهذا الطابق. (وكانت دار أبو أيوب الأنصاري التي نزل بها الرسول ذات طابقين، نزل الرسول ﷺ بطابق وسكن أبو أيوب الطابق الثاني)[1].

الآبار والعيون:

وأشهر آبار المدينة عدا بئر رومة.

١- بئر أريس: وتسمى بئر الخاتم وبئر التفلة، وهي داخل حديقة وعمقها ١٣م وفي أسفلها فتحتان يجري منهما الماء إلى قاع البئر، وفتحة ثالثة تصلها بمجرى العين الزرقاء التي يشرب منها أهل المدينة. وأريس الذي سيمت البئر باسمه رجل من اليهود ومعناه بلغة الشام (الفلاح) وتسمى بـ (الخاتم) لأن بها وقع خاتم الرسول ﷺ أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: كان خاتم رسول الله ﷺ في يده وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر. قال: فلما كانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه جلس على بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط. قال: فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده. وكان ذلك بعد ست سنين من خلافته.

وثبت عن ابن عمر في صحيح مسلم أنه سقط من يدي معيقيب وهو دُوْسيٌّ من أصحاب الهجرتين وفي صحيح البخاري حديث طويل فيه أن النبي ﷺ ذهب إلى بئر أريس فتوضأ فيها وجلس على كتفها (المرتفع منها) وكشف عن ساقيه وأدلى بهما في البئر، وأن أبا هريرة تبعه إليها، وثلثهما أبو بكر، وأتى بعده عمر ثم عثمان فتوضئوا جميعاً وجلسوا عليها كما جلس رسول الله ﷺ.

---

(٣) جواد علي ـ تاريخ ١٧/٥.

وتسمى هذه البئر أيضاً بئر التفلة، ويقولون أن النبي ﷺ تفل فيها فعذب ماؤها بعد أن كان أجاجاً، وقد ذكر الغزالي هذا في إحياء علوم الدين، وقال العراقي مخرج أحاديث الكتاب أنه لم يقف على أصل حديث تفله ﷺ في بئر أريس[1].

٢ـ بئر الأعواف: وهي إحدى صدقات النبي ﷺ.

٣ـ بئر أنا: وهي التي ضرب رسول الله ﷺ قبته عليها حينما حاصر بني قريظة وشرب منها، وهذه البئر غير معروفة الآن، وربما كانت معروفة بالمدينة باسم غير هذا الاسم.

٤ـ بئر أنس بن مالك بن النضر، وتضاف أيضاً لأبيه، وهي التي ورد ذكرها في حديث أنس الصحيح قال: أتانا رسول الله ﷺ في دارنا هذه، فاستسقى فحلبنا شاة لنا ثم شِبْته من بئرنا هذه فأعطيته فشرب وعمر بين يديه، وأبو بكر عن يساره وأعرابي عن يمينه، فأعطى الأعرابي فضله وقال: الأيمن فالأيمن. وهذه البئر الآن تعرف ببئر الحضارم، وهي في رباط شمالي الحديقة المعروفة بـ (العينية) ويقرب البئر قبة على قبر يزعمونه قبر (عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم أبي النبي ﷺ).

٥ـ بئر بضاعة: في منتهى عمار المدينة من جهة الشمال، وهي التي كان يلقى فيها لحوم الكلاب والمحائض وعذر الناس. وسئل ﷺ عن الوضوء فيه فقال: «الماء طهور لا ينجسه شيء» ـ روى ذلك أحمد والنسائي وصححه، والترمذي وحسنه والدارقطني وأبو داوود وابن ماجة ـ وزاد إلّا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه.

وفي رواية للبيهقي، الماء طهور إلّا إذا تغيّر ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه، وفي رواية النسائي عن أبي سعيد قال: مررت بالنبي ﷺ وهو يتوضأ من بئر بضاعة فقلت: أنتوضأ منها وهي يطرح فيها ما يكره من النتن..؟ قال: «الماء لا ينجسه شيء».

---

(١) مرآة الحرمين ـ إبراهيم رفعت ١/٣٩٨.

٦- **بئر بيرحاء**: هذه البئر شمال المدينة بعد سورها شرقي بئر بضاعة ولكن يفصل بينهما بئر بضاعة، وكان رسول الله ﷺ يستعذب ماءها، وكانت في بستان لأبي طلحة وقفه على أقاربه وبني عمه كما دل على ذلك حديث البخاري في كتاب الأشربة (باب استعذاب الماء).

روى عن أنس أنه قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري في المدينة مالاً من نخل، وكان أحب ماله إليه (بيرحاء) وكانت مستقبلة المسجد ـ المسجد قبلها ـ وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت آية ﴿**لَن تَنَالُوا البرَّ حتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[1] قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿**لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتَّى تُنْفِقوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ وأنا أحب مالي إلي (بيرحاء) وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

فقال رسول الله ﷺ: «بخٍ ذلك مال (رابح أو رايح) ـ شك من الراوي ـ وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفي بني عمه.

٧- **بئر رومه**: وقد مرَّ ذكرها بالحديث عن وديان يثرب.

٨- **بئر غرس**: وهي بئر بقباء في شرقي مسجدها على نصف ميل من جهة الشمال. روى ابن حيان في كتاب الثقات عن أنس رضي الله عنه أنه قال: ائتوني بماء من بئر غرس فإني رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ[2].

وفي المدينة آبار أخرى مثل بئر القويم وهي من أكبر آبار المدينة، وبئر

---

(١) سورة آل عمران آية (٩٢).

(٢) حديث الآبار التي كان النبي ﷺ يتوضأ ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار، تخريج الأحاديث وتصحيحها في إحياء علوم الدين ١/ ٢٦٠ من المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من أخبار.

العباسية، وبئر العقيق، وكان أهل المدينة فيما سلف يهدون مياه البئر الأخير إلى أمراء الشام.

هذه هي الآبار التي عليها معول أهل المدينة في سقي أراضيهم ومواشيهم. أما مياه الشرب لأنفسهم فيأخذونها من عين الأزرق، أو العين الزرقاء على ما هو مشهور في عرفهم وهذه العين منشؤوها بئر بقباء غربي مسجدها وتعرف بالجعفرية اجراها إلى المدينة مروان بن الحكم عامل معاوية على المدينة بأمر منه مشاربها حتى مصلى الأعياد[1].

وفي ضواحي المدينة عدا العين الزرقاء عيون وادي حمزة التي تبلغ الأربعين عيناً أو تزيد وحقيقة هذه العيون آبار فتح بعضها على بعض فتكونت منها مجاري ضيقة ومنشؤها شرق المدينة حيث الأرض عالية وتسير مغربة نحو حمزة ثم إلى غربي المدينة حيث الأرض هناك واطئة.

ومن عيون المدينة عين السلطان وتجري بحذاء عين الأزرق في مجرى دون مجراها، وماؤها ملح، والغرض منها تطهير مجاري المدينة وسحب القاذورات خارج البلد[2].

المناخ:

والمناخ في يثرب شبيه بمناخ مكة فهو شديد الحرارة صيفاً وبارد شتاء، وتسقط أمطارها في أوقات قصيرة ولكنها بعنف محدثة سيولاً في كثير من الأحيان. فقد سال وادي مهزور من بدايته عند حرة سوران والتقائه مع وادي بطحان في زغابة ملتقى السيول، وسال هذا الوادي في خلافة عثمان بن عفان سيلاً عظيماً على المدينة خشي منه عليها من الغرق فأقام عثمان الردم الذي يقع عند بئر مِدْرى لرد السيل عن

---

(١) حديث طويل حول هذه العين مرآة الحرمين ١/ ٤٣١-٤٣٣.

(٢) مرآة الحرمين - إبراهيم رفعت ١/ ٤٢٨-٤٣٤.

المسجد وعن المدينة. وسال مرة أخرى في خلافة أبي جعفر المنصور، فندب والي المدينة الناس لصرف مياهه في وادي بطحان[1] وتتخلف عن هذه الأمطار غدران ومستنقعات وبرك، ومن أشهر الغدران في وادي العقيق ـ غدير السدر وغدير يرخم، وغدير سلاقة، وغدير البيوت، وغدير حصبر، وغدير المجاز، وغدير المرسي.

وينشأ عن ركود المياه في هذه المناطق انتشار الأوبئة والأمراض[2].

وظاهرة انتشار الأوبئة والأمراض بالمدينة من الظواهر المألوفة فيها، فقد قدم الرسول وأصحابه إلى المدينة وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها وحول وباءَها إلى الجحفة»[3]. فالمدينة كانت على حد قول بلال «أرض الوباء» وكان سبب هذه الحمى أن مياه بطحان كانت أجنة وروى ابن اسحاق: أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرفه الله عن نبيه ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم اعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر فقلت، كيف تجدك يا أبت! أي كيف تجد نفسك.. ؟ فقال:

كُلُّ امرىءٍ مُصْبَح في أَهلِهِ والموتُ أَدْنَى من شراكِ نعلِهِ

فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول. ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ السيد عبدالعزيز ص٣٣٧.

(٢) تاريخ العرب في الجاهلية ـ الجميلي ص١٨٥.

(٣) السيرة ـ ابن هشام ٢/٢٣٩.

لَقـد وَجَـدْتُ المَـوْتَ قَبْـلَ ذَوْقِـه إنَّ الـجَـبَـانَ حَتْـفُـه من فَوْقِـه
كُل امـرىءٍ مُجـاهـدٌ بِطَوْقِـه كَالـثَّـورِ يَحْـمـي جِلْدَه بِرَوْقِـه

قالت: فقتل ما يدري عامر ما يقول. وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال:

ألا لَيْتَ شِعْـرِي هل أَبِـيتَـنَّ ليلة بِفَـخٍ وَحْـولِـي أَذْخُـرٌ جَلِيلُ
وهـل أَرِدَن يومـاً مِياه مِجَـنَّـة وهَـلْ يَبـدونَ لي شَامـةٌ وطَـفـيلُ

ويجمع الأخباريون على أن الوباء كان شديداً عند دخول النبي إلى يثرب، وذكر ابن إسحاق عن هشام بن عروة قال: وكان وباؤها معروفاً في الجاهلية[1].

وقد حدث أن غابت الأمطار وعزّت على المدينة فترة طويلة، ولكنها لم تلبث أن جاءت بعد أن صلّى النبي بالمسلمين صلاة الاستسقاء، وامتد سقوطها اسبوعاً حتى بدأت بعض بيوت المسلمين تنهار، وانقطع المرعى عن الماشية بسبب كثرة مياه الأمطار فاضطر الرسول ﷺ أن يسأل الله اللطف ورفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم حوالينا ـ أي أنزل المطر حوالينا ـ ولا تنزله علينا ـ والمراد صرفه عن الأبنية»[2].

وقد تكلمت قريش عن المسلمين في عمرة القضاء بأن حمى يثرب قد أكلتهم، باعتبار أن هذه الحمى معروفة للناس تماماً. فأمر الرسول ﷺ أن يكشف المسلمون سواعدهم اليمنى وهم يطوفون حول الكعبة وهذه السواعد هي المقابلة لقريش حتى يروا مبلغ قوتهم وعزيمتهم، وأن حمى يثرب قد زالت وبارك الله فيها.

---

(١) تاريخ العرب ـ سيد عبدالعزيز ص٣٣٠.

(٢) المصدر السابق ص٣٣٧ عن كتاب الإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ القسطلاني ٣٧٢/٢.

وجو يثرب على العموم خير من جو مكة فهو ألطف وأفرح، ولم يعان أهلها ما عانى أهل مكة من قحط في الماء ومن شدة في الحصول عليه، حتى بعد حفر بئر (زمزم) فالماء متوفر بعض الشيء في المدينة وهو غير بعيد عن سطح الأرض، ومن الممكن الحصول عليه بسهولة بحفر آبار في البيوت ولهذا صار في إمكان أهلها زرع النخيل وإنشاء البساتين والحدائق والتفسح فيها، والخروج إلى أطراف المدينة للنزهة، فأثر ذلك في طباع أهلها فجعلهم ألين عريكة وأشرح صدراً من أهل البيت الحرام[1].

وهذا دليل على أن المياه الجوفية متوفرة في يثرب بكثرة، وذلك من عدد الآبار والينابيع الكثيرة في المدينة والتي ورد ذكرها، وكذلك الأسيال والأودية التي تمر بقربها وبها، تحمل المياه والسيول عند هطول الأمطار على جبال سراة الحجاز، ولذلك اعتبرت من المناطق الزراعية الهامة التي حصل عليها نزاع كبير في الجاهلية.

ويثرب مثل مكة من شعاب تسكنها بطون الأوس والخزرج، الأوس في شعاب والخزرج في شعاب، واليهود في شعاب، وفي الشعاب حوائط (بساتين صغيرة) وفي الحوائط (آبار) يستقون منها للشرب وللسقي وللغسل، كما كانت فيها دور مبنية بالآجر، ودور مبنية باللبن، وبعضها ذو طابقين، وقد احتفر اليهود آباراً كانوا يبيعون الماء منها بدلاً مثل بئر رومة.

ويثرب على شاكلة مكة بغير سور ولا حائط يحيط بها، ولا خندق يقف حائلاً أمام من يريد بالمدينة سوءاً، وقد كان عماد دفاع أهلها التحصن في بيوتهم وبسد منافذ الطرق في أثناء الخطر، والأغنياء والموسرون يعتمدون على آطامهم وحصونهم وقصورهم، يلجؤون إليها عند الشدة ومن معهم من أتباعهم يرمون أعداءهم من فوق

---

(١) جواد علي ـ تاريخ ٤/١٣٢.

السطوح بالسهام وبالحجارة، إذ لا حائط يحيط بها على نحو ما كان لمدينة الطائف. وقد تحارب الأوس والخزرج على الآطام، وأرخو بتلك الحرب، وصاروا يؤرخون بـ (عام الآطام) وذكر أن أهل المدينة من الأوس والخزرج كانوا يمتنعون بها، فأخربت أيام عثمان رضي الله عنه[1].

ويظهر من وصف أهل الأخبار ليثرب أنها كانت بشبه مدينة (الحيره) بالعراق من حيث خلوها من سور، ومن تكونها من (قصور) وهي بيوت السادة ومعاقل المدينة ومواضيع دفاعها آناء الشدة وأوقات الحروب.

وقد عرفت بـ (أطم) و (آطام) عند أهل يثرب. وذكر أن (الأطم) كان حصن بُني بحجارة، أو كل بيت مربع مسطح. وورد أن (الأطوام): القصور والحصون لأهل المدينة والأبنية المرتفعة كالحصون[2].

وقد كان يهود الحجاز الساكنون في شمال المدينة قد حصنوا قراهم بآطام يلجأون إليها، ويجتمعون بها أيام الخطر، وقد عرفت هذه الحصون عندهم (بآطام) وواحدها (أطم)، وأما القرية فهي (قرية) في العبرانية وتسمى بـ «قريتا» (KERITHA) في لغة بني ارم.

ويقال للحصن (الأجم) والجمع (آجام) وقد ورد ذكر الاجم في شعر امرىء القيس:

وتيماءُ لم يُتْرَكْ بِها جِذْعَ نَخْلَة ولا أجما إلا مشيداً بَجَنْدَلِ

ويقال للحصن (الأطم) كذلك والجمع (آطام). ولا تزال آثار آطام الجاهلية باقية في الحجاز ونجد، وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب وفي وادي (الحفر)

---

(١) الأغاني ـ الأصبهاني ١/١٤.

(٢) تاج العروس ٨/١٨٧ (اطم). اللسان ١٢/١٩ (حاشية من جواد علي ٤/١٣٢).

بنجد ويعرف (بحضر بني حسين) آثار قصور وآطام جاهلية وآبار كثيرة.

وذكر بعض علماء اللغة أن (الآطام) القصور والحصون، وخصصها بعض آخر بالدور المسطحة السقوف وقد اشتهر (الأبلق) وهو حصن (السموأل بن عادياء) في التاريخ، وهو في تيماء، وورد اسمه في شعر للأعشى مدح به السموأل.

وكانت الأوس والخزرج تتمنع بالآطام وتحارب عليها، وقد أرخت بحرب وقعت فيما بينهم بها فقالوا (عام الآطام) وقد اخربت في أيام عثمان رضي الله عنه.

ويقال للأطم (الأجم) أيضاً. فكانت الآطام هي وسائل الدفاع عند أهل يثرب إذ لم يكن حولها سور يحميها من غزو الأعداء، فكانوا إذا حوصروا، أو وقع عليهم غزو لجأوا إلى آطامهم يتحصنون بها، ويقذفون من أعاليها بما عندهم من وسائل دفاع لمنع العدو من الدنو منهم وإلحاق الأذى به. وهي جملة آطام تملكها البيوتات العريقة، وسادات الشعاب المكونة ليثرب، والقائمة على أساس التقسيم العشائري.

والآطام: بيوت السادات ورؤساء القوم، يلجأ إليها الناس للدفاع عن أنفسهم وعنها وقت الخطر، ويظهر من شعر (أوس بن صفراء):

بَتَّ الجُنُـودُ لهُم في الأَرَضِ يَقْتُلهم ما بينَ بصـرى إلـىٰ آطَـامِ نَجْـران

أن نجران كانت ذات آطام كذلك[1].

والمدينة عند وادي (أضم) يقال للقسم الذي هو عند المدينة منه (القناة) والني هو أعلى منهـا عند السد، (الشظاة)، أما ما كان أسفل ذلك فيسمى (آخرا) إلى البحر، وذكر أن اضم عبارة عن واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر، وأعلى أضم القناة التي تمر دوين المدينة[2].

(١) جواد علي ـ تاريخ ٥/ ٤٥١ـ٤٥٢.

(٢) تاج العروس ٨/١٨٧، اضم حاشية جواد علي ـ تاريخ ٤/١٣٢.

وإن المدينة هي ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف، وما بين الماء الذي يقال له (البوا) إلى (زبالة)[1].

يتبع المدينة قُبَاء.

قُبَاءٌ، بضم القاف وفتح الباء الموحدة وألف في الأخر، ويروى بالمد والقصر، والمد أشهر قال في (الروض المعطار) ومن العرب من يذكره فيصرفه، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه قال: وسميت قباء ببئر كانت بدار توبة بن الحسن بن السائب بن أبي لبابة يقال لها (قباء).

وهي قرية غرب المدينة على ميلين منها، وبها مسجد التقوى الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿لَمَسجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَومٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾[2].

وقد روى أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء كل يوم سبت راكباً أو ماشياً ومصلاه بها مشهور[3].

ويتبع المدينة أيضاً ـ عدا قباء ـ قربان والعوالي، وكلها جنوب المدينة وتعتبر من ضواحيها، وفي شمالها العيون والبركة عند مسجد حمزة، وهي من الضواحي، والحناكية ثم خيبر وهما بعيدان عن المدينة في شمالها الشرقي. وكانت خيبر في صدر الإسلام دار لبني قريظة، وبني النضر (من يهود)[4]. وبها كان السموأل بن عاديا الشاعر المشهور، وهي بلدة عامرة آهلة ذات نخيل وحدائق ومياه تجرى.

وعلى مقربة من خيبر (فدك)، التي صالح أهلها النبي ﷺ على النصف من ثمارها سنة أربع من الهجرة، ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، فكانت

---

(١) الأعلاق ـ ابن رسته ٦٣ جواد علي ـ تاريخ ٤/١٣٢.

(٢) سورة براءة آية (١٠٨).

(٣) صبح الأعشى ـ للقلقشندي ٥/٢٨٤.

(٤) ( ) زيادة عن الأصل.

له ﷺ خالصة ينفق منها في المصالح العامة. وكان معاوية قد وهبها لمروان بن الحكم، ثم ارتجعها منه لموجدة وجدها عليه، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة ردها إلى ما كانت عليه زمن رسول الله ﷺ. وكانت تغل في أيام إمرته عشرة آلاف دينار، وكان يتجافى عنها.

وتتبع المدينة (الفقرة) وهي قرية على جبل عال منيع، وبينها وبين المدينة مسيرة ٢٤ ساعة، ومياهها ومزارعها في الجبل، ولا يعرف مسالكها إلا سكانها، حيث يسكنها الأحامدة الآن أقوى القبائل وأعتاها.

ثم (الحمراء) و(الصفراء) و(ينبع النخل) وينبع البحر. الحمراء على مسافة ٣٣ ساعة ونصف من المدينة ومسيرة ٢٥ ساعة من ينبع البحر وبها كثير من النخيل.

والصفراء على مسيرة ١٢ كم من مدينة ينبع البحر وتشتهر بـ (الخيف) جمع (أخياف) و(خيفا)، وهو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء[1].

(وَدَّان)، بفتح الواو تشديد الدال المفتوحة ثم ألف ونون، وهو واد به قرىً خراب لا تحصى كثرة.

و(الفُرْع)، بضم الفاء وسكون الواو المهملة، وبالعين المهملة، وهو وادي في جنوبي المدينة على أربعة أيام منها يشتمل على عدة قرى آهلة. أخبرني بعض أهل الحجاز أن به أربعة عشر نهراً على كل نهر قرية، وماؤها يصب في رابغ حيث يُحرم حجاج مصر، وعليها طريق المشاة من مكة إلى المدينة. قال في (الروض المعطار) ويقال إنها أول قرية مارت إسماعيل عليه السلام التمر. وهي الآن بيد بني حرب[2].

و(الجَارُ) قال في اللباب بفتح الجيم، وألف وراء مهملة ـ وهي فُرْضة المدينة الشريفة على ثلاثة مراحل منها. قال ابن حوقل وبينها وبين ساحل الجحفة نحو

---

(١) مرآة الحرمين ـ إبراهيم رفعت ١/٤٤٦. (٢) زمن المؤلف.

ثلاث مراحل، منه عن أيْلَةَ نحو عشرين مرحلة.

«وادي القُرْىٰ» بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف في الآخر: جمع قرية ـ قال في (الروض المعطار) وهي مدينة كثيرة النخيل والبساتين والعيون، وبها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهم الغالبون عليها[1]. وتعرف «بالواديين» والذي أخبرني به بعض أهل الحجاز أنه كان بها عيون كثيرة عليها عدة قرى، فخربت لاختلاف العرب، وهي الآن خراب لا عامر بها[1]، ولو عمرت أغنت أهل الحجاز عن الميرة من غيرها. قلت: وبالغ الأدريسي في «نزهة المشتاق» فعد من مخاليفها تيماء ودومة الجندل ومدين والتحقيق خلاف ذلك .

الأماكن المقدسة في يثرب:

لم يُشر أهل الأخبار إلى وجود حرم أو بيت بيثرب كان يتعبد فيه اليثربيون، ويتقربون إليه بالنذور، مع أنهم أشاروا إلى بيت اللات في الطائف ويثرب مثل الطائف. ومثل مدن أخرى ذات محجات ومعابد، وقد كان أهل يثرب مثل غيرهم من المشركين يتقربون إلى الأصنام. وكانوا يحفظون أصناماً لهم في بيوتهم يتقربون إليها. كما كانوا يحجون إلى محجات كانت على مسافة من يثرب، ولذلك يبدو غريباً سكوت أهل الأخبار عن ذكر بيت في هذه المدينة يحج إليه الأوس والخزرج ومن والاهم من قبائل وعشائر[2].

هذه بعض الأخبار المتعلقة بمدينة يثرب، وعلى الرغم من تشابه الكثير من هذه الأخبار فإن بعضاً منها ضروري لدراسة سكان المدينة بعد ذلك، وضروري أيضاً للتفصيل في حياتهم ومعاشهم وحروبهم. وما يزال الكثير غير معروف من هذه المدينة، حتى يقال أن يثرب عند قيام بعض الحفريات فيها حديثاً وجد أنها مدينة

---

(١) صبح الأعشى ـ القلقشندي ٥/ ٢٨٦ـ٢٨٨ . (٢) جواد علي ـ تاريخ ٤/ ١٣٠ .

مبنية على مدينة أقدم منها لم يكشف النقاب عنها بعد. وهذا ما جعل أكبر مؤرخي العصر الجاهلي يقول: وتاريخ المدينة مثل سائر تواريخ هذه الأماكن التي نتحدث عنها (مناطق الجزيرة العربية ـ مكة ـ الطائف..) مجهول لا يعرف من أمره شيئاً يذكر، وإنما يذكره الأخباريون عن وجود العماليق وجرهم بها فأمر ـ وإن قالوه ـ لا يستند إلى دليل، وحكمه حكم الأخبار الأخرى التي يروونها، والتي عرفنا نوع أكثرها وطبيعته.

ولكن الشيء الذي نعرفه يقيناً أن أهل المدينة كانوا ينتسبون عند ظهور الإسلام إلى يمن، وكانوا يقسمون أنفسهم فرقتين الأوس والخزرج، وبين الفرقتين صلة قربى على كل حال، ثم يذكرون أنه كان بينهم يهود، وهم على زعمهم من قدماء سكان يثرب[1] ويضيف بعض الباحثين الآخرين تأكيداً على هذا الرأي والقائل بعدم وجود أسانيد قوية لتاريخ يثرب القديمة فيقول:

ومن أسف أن تاريخ يثرب القديم مجهول، فلا توجد مدونات يمكن الرجوع إليها، ولم تقم بها حفريات علمية يمكن أن تقدم لنا معلومات ذات قيمة في تاريخ المدينة المقدسة القديم، وإن كانت هناك حفريات قد أُجريت دون أن يقصد بها ذلك الهدف العلمي ـ كالتي حدثت في الأعوام ١٣٣٣هـ، ١٣٣٥هـ، ١٣٥٢هـ في أحد البساتين، وأبان حفر أساس القسم الشمالي لمدرسة العلوم الشرعية الواقعة بقرب باب النساء، وفي المناخية جنوب السيل، إلّا أنها قد كشفت عن بعض أشياء قد تشير إلى أن المدينة الحالية، إنما قامت على أنقاض مدينة أخرى ـ الأمر الذي أشار إليه (السمهودي) منذ القرن التاسع الهجري، ومن ثم فإن معلوماتنا الحالية إنما تعتمد في الدرجة الأولى على روايات الأخباريين[2].

---

(١) المصدر السابق ٤/١٣٣.

(٢) دراسات في تاريخ العرب ـ مهران ص٤٣٦.

مناقب المدينة:

وأما المدينة الشريفة فهي «دار الهجرة» و«ذات الروضة والحجرة» وثبت أنه ﷺ قال: «إنَّ الإيمَانَ لَيَأْرِزُ - أي يَنْظَمُّ بِتَقْدِيمِ الرَّاء عَلَىٰ الزَّايِ - إلَى المدينة كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إلىٰ حُجْرِها» - متفق عليه -.

وأنه ﷺ قال: «المدينةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إلى كَذَا». ولِمُسلمٍ، مِن عَيْرٍ إلىٰ ثَوْرٍ لا يُقْطَعُ شَجَرُها، وَلاَ يُحدَثُ فيهَا حَدثٌ، مَنْ أَحدَثَ فيهَا حَدَثاً فَعَلَيهِ لَعْنَةُ الله والمَلاَئِكَةِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ».

و«ثور» جبل صغير خلف أُحد من جهة الشمال[1].
ولأحمد ما بين عير إلى أحد (وعير مقابل لأُحد).

فضائل المدينة الشريفة: وأنه ﷺ قال: «المَدِينةُ تَنْفي (خُبْثَ أو خَبَثَ) الناسِ

---

(١) إن تعريف ابن الدَّيبَع الشيباني «جبل ثور» على هذا النحو يتفق مع الحقيقة الواقعة وهو ما يتفق مع قول رسول الله ﷺ في تحديد حرم المدنية في الحديث الذي أورده الإمام مسلم في صحيحه: المدينة حرم ما بين عير وثور. ولقد توهم أبو عبيد البكري م ٤٨٧هـ في كتابه (معجم ما استعجم) وابن الأثير الجزري م ٦٠٦ هـ في كتابه «النهاية في غريب الحديث» وياقوت الحموي م ٦٢٦هـ في كتابه «معجم البلدان» بنكران وجود جبل بهذا الاسم في المدينة، وتأكيد وجوده في مكة. وهو الجبل الذي يحتوي على غار ثور الذي أوى إليه الرسول ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة (فتوح البلدان - البلاذري ص٢٢-٢٣). والحقيقة التي لا لبس فيها أن في حدود حرم مكة جبلاً بهذا الاسم وفي حدود حرم المدينة جبل بالتسمية ذاتها، ولذلك لا لزوم لكل التأويلات التي أخذ بعضهم في شرح هذا الحديث. ولقد أولى المرحوم محمد فؤاد عبدالباقي هذا الموضوع كل العناية في البحث لدفع هذا الخطأ، وجاء بشتى الأدلة والأقوال التي تزيل الارتياب وتثبت الحقيقة معتمداً على ما أورده القدامى في هذا الموضوع وما أخذ به المحدثون واظهروه في دراساتهم الطبوغرافية لحرمي مكة والمدينة مما يصح الرجوع إليه - صحيح مسلم ٢/ ٩٩٥-٩٩٨ حاشية (٤).

كما تَنفي النَّارُ خَبَثَ الحَدِيدِ» ـ متفق عليه ـ.

وأنه قال ﷺ: «على أَنْقَابِ أهلِ المدينةِ مَلائكةٌ لا يَدْخُلها الطاعونُ ولا الدَّجَّالُ» ـ متفق عليه .

وأنه ﷺ قال: «صلاةٌ في مَسْجِدي هذا خَيْرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سواهُ إلا المسجِدَ الحَرَامَ» ـ متفق عليه ـ.

وأنه ﷺ قال: «ما بَيْنَ بَيْتي وَمِنْبَري روضةٌ مِنْ رياضِ الجنةِ ومنبري عَلَىٰ حَوْضِي» ـ متفق عليه ـ.

ولا خلاف بين العلماء في أن هذين البلدين «مكة» و«المدينة» أفضل بلاد الله على الإطلاق، وإن اختلفوا في أيهما أفضل، فالجمهور على تفضيل مكة على المدينة إلا موضع قبره الشريف، فأجمعوا أنه أفضل تربة في الأرض لما ورد أن كلا يدفن في تربته التي خلق منها.

وهو ﷺ أفضل الخلق، فتربته أفضل تربة في الأرض، وأفضل موضع في مكة، الكعبة، ثم المسجد، ثم دار خديجة رضي الله عنها لأنه أقام فيها نحو ثمانية وعشرين عاماً.

وما أحسن قول القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في وصف تلك الرياض ـ أعني مكة والمدينة ـ «وجدير بمواطن عُمِّرَت بالوحي والتنزيل، وتردد في عرصاتها (عرصة، وهو كل موضع واسع لا بناء فيه) «جبريل»، وعرجت (عرج: صعد) منها الملائكة والروح وضجت فيها (ضج: ارتفع الصوت) بالتقديس والتسبيح، أن تعظم عرصاتها، وتتنسم (تنسم: طلب النسيم واستنشقه) نفحاتها، وتقبل ربوعها وجدرانها مدارس الآيات ومشاهد الفضل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك (منسك: متعبد) الدين، ومواقف سيد المرسلين، حيث انفجرت النبوة والرسالة

وفاض عبابها (العباب: كغراب ـ معظم السيل وارتفاعه وكثرته أو موجه ـ وأول الشيء)، وأول أرض مس جلد المصطفى ﷺ ترابها». (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى. يقولون يثرب.. وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد» (٢).
قال يونس: قال لنا ابن وهب: قلت لمالك: ما تأكل القرى؟ فقال: تفتح القرى (فتحت مكة بالمدينة وما حول المدينة بها لأنها تأكل القرى أكلاً إنما تفتح القرى بالمدينة.

وقال الغزالي (٣): فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله ﷺ في طريقه كثيراً، فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال: اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقايةً من النار، وأماناً من العذاب، وسوء الحساب. وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة، وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه، فإذا دخلها فليدخلها متواضعاً معظماً وليقل:
بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدخَلَ صِدْقٍ، وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ، وَاجعَل لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيْراً﴾ (٤) صدق الله العظيم. إلخ..

---

(١) حدائق الأنوار ـ الشيباني قسم ١/ ٨٦-٩٠.
(٢) متفق عليه ـ البخاري ٣/٢٦ ومسلم ٢/٤٨٨.
(٣) إحياء علوم الدين ـ الغزالي ١/ ٢٥٨-٢٥٩.
(٤) سورة الإسراء آية (٨٠).

سرد تاريخي للحياة في يثرب

السكان:

أشارت الدراسات والاكتشافات في يثرب على أن هذه المدينة ربما تكون مبنية على أنقاض مدينة غيرها، وهذا يدل دلالة واضحة على قدم وجود الناس في هذه المنطقة منذ عصور مغرقة في القدم.

والروايات التي بين أيدينا تشير إلى أن الذين تعاقبوا على هذه المدينة العرب من العماليق، فاليهود، فالعرب من اليمن، ثم المسلمون، حيث خلصت منذ فجر الإسلام لتصبح عاصمة الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم.

السكان القدماء «العماليق»:

كان أول من نزل بيثرب هم العماليق، فأقامت فيها قبائل منهم: بنو هف، وسعد بن هفان، وبنو مطرويل[1] ثم سكنها بعدهم اليهود، وبعد السيل العرم، وانهيار سد مأرب قدمت إلى يثرب قبائل الأوس والخزرج فانتشرت في جنوبها وشمالها في جبل أُحد[2].

يرى بعض الباحثين أن كلمة يثرب محرفة عن الكلمة المصرية «اتربيس» وعلى هذا الأساس يرجحون أن الذين بنوها إنما هم العمالقة بعد خروجهم من مصر، وإن كلمة «طِيبة» أحد اسماء المدينة «بكسر الطاء» كانت مستعملة قبل الإسلام مأخوذة

---

(١) تاريخ العرب ـ الجميلي ص١٨٨.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ زيدان ص ٢٨٠-٢٨١، تاريخ العرب السيد عبدالعزيز ص٣٣٩.

عن المصرية، وعليه أيضاً فعمران المدينة يبتدىء من سنة ١٦٠٠ق.م.

ولكن هذا الرأي لا يبدو مقبولاً تجاه الآراء الأخرى التي تدل على أن يثرب كانت موجودة قبل موسى عليه السلام عند الحديث عن نزول اليهود فيها.

نقل ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ٤٣/٥ ـ وعمدة الأخبار للعباسي ص٣٣ عن أبي القاسم الزجاجي أن من أسماء المدينة «يثرب» وقال: إنها سميت بذلك لأن أوّل من سكنها هو «يثرب بن قانية بن مهلائيل بن ارم بن عبيل بن عوض بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام»[1].

فالذي يوحي مما سبق أن أول من نزل يثرب هو «يثرب» وهو من بني عبيل إخوة عاد من العرب البائدة، كما سكنها بعدهم أيضاً العماليق وهم «بنو عملاق» بن أرفخشد بن سام بن نوح، ومنهم بنو هفان، وبنو مطرويل، وكان لهم ملك عظيم يدعى الأرقم بن أبي الأرقم الذي عرف بالقوة وشدة البطش والسلطان.

ويرى بعض الباحثين[2] أن كلمة عماليق مؤلفة من مقطعين هما (عم) بمعنى شعب أو أمة باللسان العبراني، و(ماليق) وهو اسم قبيلة عربية كانت مواطنها الأولى بجهات العقبة وشماليها، وعلى وجه الخصوص، ورد اسمها في كتابات البابليين. ونطق العرب بذلك الاسم بطريقتين، عماليق وعمالقة.

وقد كان العمالقة قوماً طوال الأجسام، طوال الأعمار، ويبلغ عمر الواحد منهم مئات السنين وهو أمر لا يؤمن به أولئك الذين يفصلون بين التاريخ والنبوات، ولا يستطيعون أن يتصوروا إنساناً يعيش مثل هذا العمر، أو حتى قريباً منه مهما كانت الظروف والأحوال، أما أنا كما يقول المؤلف ـ فإنه لا شيء يمنعني من تصديقه بعد أن أقرأ قوله تعالى عن نوح عليه السلام وقومه ﴿فَلَبِثَ فِيهِم أَلفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِيْنَ

(١) المدينة ـ الخطراوي ص٢١-٢٣.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ـ زيدان ص٥١.

عَامًا﴾[1]. وأقول كذب المؤرخون والباحثون، وصدق الله ورسوله. ولا يهمني بعد ذلك ما عسى أن يصفني به بعضهم من الغفلة والمسارعة إلى التصديق[2].

إذن نرى أن بني عبيل أوّل من سكن المدينة وسميت «يثرب» باسم بانيها الأوّل الذي ينتسب إلى قوم بادوا بعذاب الله تعالى، وحل محل بني عبيل العماليق، فقصدوا أرض الجحفة ـ ناحية رابغ اليوم ـ فجاءهم سيل أجحفهم فيه فهي لهذا سميت جحفة ورثاهم رجل منهم فقال:

عَينُ جُودِي عَلَى عبيل وهَلْ ... يَرْجِعُ مَنْ فاتَ بيضُها بالسُّخامِ
عَمَروا يَثْرِباً وليسَ بِهَا شُفْر ... ولا صَارِخٌ ذو سِنَامِ
غَرَسُوا لِينَها بِمجرَى مَعَينٍ ... ثم حفّوا النَخيلَ بالآجامِ[3]

---

(١) سورة العنكبوت آية (١٤).

(٢) المدينة ـ الخطراوي ص٢٦.

لا أعلم ما الذي جعل الكاتب يتخذ هذا الموقف من تكذيب الباحثين والمؤرخين ويقرنها بصدق الله ورسوله. نعم صدق الله ورسوله، وكذب الأفاكون والمتأولون والدجالون. إن الباحثين المنصفين لا يعترضون إطلاقاً على أن تلك الأقوام قد عاشت أعواماً وسنين طويلة لا يعلمها إلا الله تعالى، كما لا ينكرون من تسمى بالعماليق بأنهم كانوا طوال الأجسام، طوال الأعمار والباحثون المنصفون يرفضون تلك المبالغات غير المعقولة أصلاً منها مثلاً: أن الأعوج بن عناق وقد عاصر سيدنا نوح عليه السلام كان يقف في البحر الذي يغمره إلى ركبتيه فقط، ويخرج الحيتان من البحر ويشويها في الشمس ويأكلها. ومثل هذه المبالغات كثيرة في التوراة خاصة عندما تتحدث عن العماليق، ويصورون بني إسرائيل بأجساد عادية تمكنت رغم قصر قامتها وأعمارها من القضاء على هؤلاء العماليق الكبار كبار الأجسام طوال الأعمار وكان الأولى للمؤلف الذي قدم للمكتبة العربية بحثاً طريفاً عن المدينة أن يتحرى الحقيقة حتى يكون لكلامه الوقع الحسن في نفوس القراء.. وقد أورد نفس الخاطرة أعلاه في كتابه شرع الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج ص٢٢.

(٣) السخام: اللين من كل شيء، أو الأسود. شفر: أحد. لينها: نخلها. ولعل المقصود بالآجام: الآطام ويروى اسحام، وهو شجر.

ويرى العياشي في كتابه المدينة بين الماضي والحاضر[1] من أن العماليق كانوا أسبق إلى المدينة من بني عبيل، وعليهم نزل اليهود، وكذا يرى ياقوت الحموي، وأنهم أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخل، وعمر بها الدور والآطام واتخذ بها الضياع.

وكان العماليق فيما يبدو طبقتين، طبقة سابقة هي التي عناها العياشي، وفيها الملوك الطغاة الذين منهم الأرقم بن أبي الأرقم، وطبقة لاحقة لها صلة بنسب الأولى، ومنها، قبيلتا صعل وفالح وهي التي أجلت بني عبيل عن المدينة.

ويمكن بهذا نظرياً الجمع بين الروايات المختلفة في هذا الباب، وإن كان الأمر من وجهة النظر العلمية لا يزال محتاجاً إلى التدعيم بالوثائق، والإثبات بالأدلة المقنعة.

إن التوسع في ذكر أول من سكن يثرب يساعد كثيراً على تفسير بعض الظواهر التي قد تعترضنا عند تناولنا لأساسيات البحث، إذ أنه على افتراض انقراض العماليق، وبني عبيل مثلاً وانتهائهم من المدينة بالكلية، فليس من المعقول أن تمحى آثار وجودهم بسهولة، بل العكس هو المعقول تماماً، فلا بد من بقاء بعض بصمات حياتهم وعيشهم فوق هذه الأرض، حملها من خلفوهم من اليهود أو من الأوس والخزرج[1].

(عبيل): وعبيل مثل أميم لا نعرف من أمرهم غير نتف ذكرها الأخباريون الذين زعموا أنهم إخوان عاد بن عوص، أو إخوان عوص بن ارم، وأنهم لحقوا بموضع اسمه (يثرب) حيث اختطوا يثرب، وكان الذي اختطها منهم رجل يقال له «يثرب بن باثلة بن مهلهل بن عبيل».

---

(١) المدينة ـ الخطراوي ص ٢٦ـ٢٧ بتصرف.

وقد ورد في التوراة اسم ولد من أولاد (يقطان) هو (OBAL) (عوبال) أو (EBAL)[1] وهذا الاسم قريب من عبيل ولذلك رأى بعض علماء التوراة أن من الممكن أن يكون (عبيل) هو (عوبال).

ونجد في جغرافية بطليموس اسم موضع يُقال له (AVALITAE) على خليج يدعى بهذا الاسم (AVALITES SINUS) وعليه مدينة تسمى (AVALITES EMPORTION) وسكانها يعرفون باسم (AVALITES) وقد ورد هذا الاسم عند بلينيوس على صورة (ABLATIES). ويرى (فوستر) أنه من المحتمل أن يكون هؤلاء هم (عوبال) وقد يكون أبناء عوبال هم عبيل.

وذكر أن في اليمن مكاناً يقال له عبيل، وقرية تقع على طريق صنعاء تعرف بـ (عبال) وهذان الإسمان قريبان من اسم عبيل[2].

أما بالنسبة للعماليق الذين أخرجوا عبيل من يثرب فيقول الأخباريون: (وعمليق) جد العمالقة هو شقيق (طسم)، ويذكرون أنهم كانوا أمماً كثيرة تفرقت في البلاد، فكان منهم أهل عُمان، أهل الحجاز، وأهل الشام، وأهل مصر ويعرف أهل عُمان والبحرين باسم جاسم، وجاسم هو من نسل عمليق على زعم أهل الأخبار.

وكان من العمالقة أهل المدينة ومنهم (بنو هف) و(سعد بن هزان) و(بنو مطر) و(بنو الأزرق) وكذلك سكان نجد ومنهم بديل وراحل وغفار وكذلك أهل تيماء.

وكان ملكهم (الأرقم) وهو من العمالقة، وهو من معاصري موسى عليه السلام على رواية الهمداني، وقد أرسل موسى عليه السلام جنداً لمقاتلته ففتك بأتباعه أهل تيماء وببقية عمالقة الحجاز.

ويذكر بعض أهل الأخبار أن (العماليق) لحقت بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء،

---

(١) الكتاب المقدس، الإصحاح الأول ٢٢، التكوين، الإصحاح العاشر ٢٨.

(٢) جواد علي ـ تاريخ ١/ ٣٤٤.

ثم انحدر بعضهم إلى يثرب فأخرجوا منها (عبيلاً)، وسكنوا ديارهم، وذهبت عبيل إلى موضع الجحفة فأقبل السيل فأجحفهم فذهب بهم فسميت (الجحفة).

وذكروا أن موسى أرسل جيشاً لحرب عماليق يثرب[1] ولم نجد في التوراة ذكر لمثل هذا الجيش أو الحرب.

والعمالقة الذين نتحدث عنهم عرب صرحاء من أقدم العرب زماناً لسانهم اللسان المُضَري الذي هو لسان كل العرب البائدة على حد قول أهل الأخبار، بل زعم بعضهم أن عملیقاً هو أبو العمالقة أول من تكلم بالعربية حين ظعنوا من بابل، فكان يقال لهم ولجرهم «العرب العارية»[2].

ويظهر من فحص هذا المروي في كتب الأخباريين عن العمالقة ونقده أنه مأخوذ من منابع يهودية، فقد ذكر العمالقة في التوراة، وقد كانوا أوّل شعب صدم العبرانيين حينما خرجوا من مصر متجهين إلى فلسطين، وظلوا يحاربونهم، ويكبدونهم خسائر فادحة وأوقعوا الرعب في نفوسهم، ولهذا ثار الحقد بينهم على العماليق، ويتجلى هذا الحقد في الآيات التي قالها النبي صاموئيل لشاؤول أوّل ملك ظهر على العبرانيين قالها له باسم «اسرائيل» «إياي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل، والآن فاسمع صوت كلام الرب. هكذا يقول رب الجنود، إني افتقدت ما عمل عمليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر، فالآن إذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله، ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً».

وهذا الحقد هو الذي جعلهم يخرجونهم من قائمة النسب التي تربطهم بالساميين. وقد كانت منازل العماليق (العمالقة) من حدود مصر فطور سيناء ففلسطين. وعدم ذكر العبرانيين لهم في جملة قبائل العرب، لا يدل على أنهم لم

---

(١) الطبري ـ تاريخ ١/ ٢٠.
(٢) جواد علي ـ تاريخ ١/ ٣٤٦.

يكونوا عرباً، فقد ذكرت أن العبرانيين لم يطلقوا لفظة (عرب) إلّا على الأعراب أهل البادية ولا سيما بادية الشام ثم أن العمالقة من أقدم الشعوب التي اصطدم بها العبرانيون وحملوا حقداً عليها. وهم عندهم وفي نظرهم أقدم من القحطانيين والإسماعيليين[1].

ويقال: إن العمالقة أوّل من سكنوا المدينة أو يثرب، وظلوا بها حتى نزلها اليهود في القرن الثاني الميلادي على إثر الإضطهاد الروماني لهم[2].

وقد زعم أهل الأخبار أن العمالقة كانوا أصحاب عز وبغي شديد، وكانوا ينزلون الحجاز في جملة ما نزلوا من أماكن في أيام موسى، وكان منهم بنو هف، وبنو سعد، وبنو الأزرق، وبنو مطروق، وملكهم إذ ذاك رجل منهم اسمه (الأرقم) ومثلما تغلب عليهم العبرانيون انتزعوا منهم مساكنهم وأقاموا في مواطنهم في الحجاز[3].

وقد أخذ أهل الأخبار ما رووه عن دخول اليهود إلى يثرب في أيام موسى، وما ذكروه عن إرساله جيشاً إلى هذه المنطقة، ثم ما رووه عن سكنهم القديم في أطراف المدينة وفي أعالي الحجاز من سفر (صموئيل الأوّل) من التوراة.

فزعموا أن تلك الحروب قد وقعت في هذه المنطقة وأن اليهود قد سكنوها لذلك منذ أيام موسى[4].

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٤٦ـ٣٤٧.

(٢) تاريخ الأدب العربي ـ ضيف ص٥٣.

(٣) الأغاني ـ الأصبهاني ١٩/ ٩٤. ابن هشام ـ السيرة ٢/ ١٧.

(٤) جواد علي ـ تاريخ ٦/ ٥١٧.